قصة بلا اسلوب

بقلم : فؤاد القصاص

تقديم

كحقيقة .. القصة بلا أسلوب كاللوحة بلا ألوان .. وكالفاكهة بلا طعم .. فالاسلوب هو الذى يعطى القصة مذاقها وينسج لها رداءها ..

والقصة ان خلت من الاسلوب قد تعطى المعنى والمضمون .. ولكنها تفتقر الى الجمال والرقة والروح .. وهو لذلك ـ أى الاسلوب ـ اصعب عناصر القصة وأكثرها عناء .. ولا غنى عنه للقصة المقروءة .. فهو الذى يحمل المضمون على بساطه السحرى الى ذهن القارىء ويفتح أمام وجدانه أبواب الخيال والتأمل ! .

ورغم ايمانى بهذه الحقيقة ، الا أن عصر السرعة الذى أخذ يفرض نفسه على الحياة والاحياء ، لم يدع للقارىء وقتا ينفقه فى تتبع التشبيهات الجميلة والجمل الموسيقية والكلمات العذبة .. فأصبح يقفز بنظراته فوق السطور ليصل بأسرع ما يستطيع الى الحدث والمضمون ..

اننى أقدم الى قارىء (القصة) هذه التجربة القصصية التى خلت من الاسلوب .. واكتفيت فيها بالاحداث تتابع .. تحمل فى النهاية مضمون القصة ..

والرأى فى هذه التجربة متروك للقراء .. وللنقاد ..

(عادل) أديب مصرى شاب أعزب نال شهرة واسعة فى العالم العربى بقصصه العاطفية الملتهبة التى أصدرتها له احدى دور النشر فى بيروت ..

وحدث عقب نشر قصته الاخيرة التى أحدثت ضجة كبيرة فى لبنان بعد أن نفدت كمياتها الكبيرة فى ساعات ، أن تلقى من الاستاذ (مازن) ناشر كتبه دعوة لزيارة لبنان وحضور حفل لتكريمه يقيمه له الادباء هناك ..

وكان عادل يعيش وحيدا فى القاهرة الضخمة رغم كثرة أصدقائه والمعجبين بفنه وطالما أحس بالملل والفراغ العاطفى .. مما دفعه الى تلبية الدعوة والرحيل الى بيروت .. وهو يحلم بأيام هنيئة يقضيها وسط جمال الطبيعة وبين

حسان لبنان اللاتي طالمـــا سمع عن سحرهن الكثير . آملا ان يستوحي من وجوده هناك أحداثا تصلح لتكون نواة لقصته الجديدة .

وقد أقام الناشر لعادل حفلة تكريم في بيته المطل على البحر ضمت صفوة رجال الفكر في لبنان وباقة من الجميلات اللاتي يعشقن الادب وتستهويهن معرفة أبطاله وفرسانه ..

وأحس عادل بسأم من جو الحفـــلة لما فيهـا من الرسميات والتكلف ولكنه كتم مشـــاعره حتى اذا انتهت الحفلة صحب صـــديقه مازن وذهبـا الى احد الملاهي الليلية وجلسـا يحتسيان كأسا من الخمر ويتحدثان .. ولـكن سرعان ما وقعت نظرات عادل على شابة فاتنة الوجه والقوام تجلس وحيدة وهي تدخن وأمامها كأس من الصودا .. وكان في عينيها غموض مثير جذب انتبـــاه عادل فسأل صديقه عنها ولـكن صديقه كان يجهل مثله كل شيء عنهـــا .. فانتهز عادل فرصة عزف الفرقة الموسيقية لأحد الالحان الراقصة وقام اليها يستأذنها في الرقص ولكنها صدته ببرود واستخفاف .

وعاد عادل الى مقعده بجوار صديقه وهو أكثر رغبة في التحدث اليها مدفوعا باحساس خفي لا يقاوم ..

وظل يختلس اليها النظرات ويحاول جذب اهتمامهـــا اليه . ولكنها ظلت تتجـــاهله ولا تابه لوجوده .. حتى عزفت الفرقة لحنا من الحان التـــانجو الحزينة فرآها تتمايل مع النغمات في نشوة فتشجع ونهض اليها رغم معارضة مازن وعندما سألها أن تراقصه فوجىء بها تنهض وتضع نفسهـــا بين ذراعيه دون كلمة وراحت تدور معه على النغم وهي شـاردة كمن تحلم .. بينما عادل قد انطلق يحدثها عن نفسه وعن سبب وجوده في بيروت .. وعن اعجابه بها .. وهي لاتعيره سمعا ونظراتها سابحة في سقف المكان ..

وعندما انتهت الرقصة مضى معها الى منضدتهـا وهم بالجلوس ولكنها سألته في برود وضيق عما يريده منها .. لقد طلب أن يراقصهـــا فرقصت معـه .. وانتهى بذلك لقاءهما !

ولـــكن عادل يصر على أن يعـــرف اسمهـــا .. فتخبره بأنه يستطيع أن يناديها باسم (صفاء) ثم تنهض لتنصرف ولكن عادل يلح في أن تعطيه موعدا للقاء فتحاوره في ذكاء لتهرب من اجابة طلبه .. ولكنها أمام اصراره تحذره بأسلوب غامض قائلة انه لن يفيد من هذا اللقاء كما يتوهم .. بل ربما يخسر الكثير!..

ولكن غموضها يزيد من رغبـة عادل في رؤيتهـــا مرة أخرى فتعده مكرهة باللقاء في غروب اليوم التالي في مكان حددته على شاطىء البحر ..

وتنصرف (صفاء) ويعـــود عادل الى صديقه مازن فرحا سعيدا بموعد الغد ولكن مازن يبدي قلقه وخوفه من هـذه المرأة الغامضة ويحذره من مقابلتها .. بينما عادل يؤكد له انه واهم وان المرأة تميـــل بطبيعتها الى الغمـــوض لتثير الرجـــل .. وانه اي عادل يحس بأنه مقبل على أحداث قصة رائعـــة لم يكتب مثلها احد من قبل ! .

وقبل الموعد المحدد بقليل كان عادل جالسا في المكان الذي اختـارته صفاء يحلم باللقاء وما بعد اللقاء .. رغم

ما يداخله من شك فى مجيئها ..

حتى رآها تدخل المكان فى هدوء وثبات وتحييه بايماءة من رأسهـــا ثم تجلس بجواره ..

ويبدأ عادل الحـــديث بسؤالها ان كانت قد قرأت آخر كتبه الذى يحمل اسم (انت لى ياحبيبى) فيبدو عليهـا التجهم ولكنها سرعان ما تكتم عواطفها وتجيبه بالايجاب ! فيسالها ان كان قد حاز اعجابها فتجيبه فى اقتضاب بانهـا قد اعتادت أن تحتفظ لنفسها برأيها فى الآخرين وفى تصرفاتهم ..

ويحس عادل بالحرج .. ولكنه يفتح موضوعا آخر للحـــديث عن الجو وعن شاعرية المكان .. فيفاجأ بها تساله فى برود عما يريده منها .. فيقول لهـــا بلا تردد انه معجب بها ويتمنى أن يقضى معها اكبر وقت يستطيعه .. وتقول فى تهكم ودهاء ان ما يريده سـوف يكلفه كثيرا .. فيؤكد لها استعداده للتضحية بالكثير لينال هذا الحلم ..

وأمام اصراره تشـــترط صفاء لكى تحقق له رغبته ألا يوجه اليهـــا أية أسئلة .. وأن يغـــادر المـــكان الذى ســـيقضيان فيه ليلتهما قبـــل شروق الشمس .. فيوافق عادل .

تغادر صفاء وعادل المكان حيث كانت تنتظره سيارة سـوداء فخمة يستقلانها لتمضى بهما فى طريق الجبـــل الوعر المتعرج .. وتظل السيارة تلف بهمـــا وتدور نحـــو ساعة من الزمان وصفاء صامتة شاردة الفكر .. بينما عادل قد بدأ يداخله الخـــوف من نتيجة هـــذه المغامرة .. فتلاحظ صفاء ذلك وتؤكد له بانه يستطيع التراجع والعـــودة الى المدينة .. وهى تفضـــل ذلك لانه فى مصلحته .. ولكن عادل يؤكد لها بأن حبه لا يعرف الهزيمة ..

تقف بهما السيارة فى مكان منعزل أمام كوخ احمرصغير يحيطه سور متآكل من الخشب غير المطلى .. وتهبط صفاء بصحبة عادل فيفتـــح باب الكوخ صبى نوبى فى ملابس نظيفة .. حيث يدخلان الى ردهة الـــكوخ المؤثثة باثاث شرقى فخم ...

وتختفى صفاء فى احـــدى الحجرات وتتركه مشـــغولا بتأمل المكان وخاصة اللوحة الزيتية الكبيرة التى تصور قلعة محمد على بالقـــاهرة تصويرا دقيقـا بارعا .. ولا تمضى لحظات حتى يفاجأ عادل بصفاء تدخل الردهة وقد ارتدت غلالة رقيقة شفافة تكشف مفاتن جسدها الثـــائر .. وقـــد انســـدل شعرها الكستنائى الغزير على كتفيها العاريين .. ولأول مرة يقرأ فى عينيهـــا الشـــوق اليه .. وبينما هو ثائر الدم مبهـــور الانفاس يسمع صوتهـــا يدغدغ وهى تقول ان حلمه بين يديه .. يسرع عادل نحوها ويرفعهـــا بين ذراعيه فتشير له باصبعها الى الحجرة التى جاءت منهـــا فيتدفع بها حيث يختفيان وراء الباب .

يقضى عادل مع صفاء الليل فى متعة جارفة لا يفيق منها الا على صوتها وهى تنبهه الى أن موعد رحيله قد حل !..

ثم تترك الفراش وتزيـــح ستارة النافذة وتنظر الى القمر الذى بدأ يختفى فى الافق ليخلى مكانا لاضـــواء الفجر الزاحفة ..

ويسالها عادل وهو يرتدي ملابسه متى يلتقيان ؟ فتخبره بأن علم ذلك عند السماء ·· ولكنه يؤكد لها انه سيلتقي بها ·· فانه قد أصبح يهيم في حبها ولن يستطيع العيش بدونها ·· وتسأله ساخرة من اين جاء التأكيد ؟ فيخبرها بانه عود نفسه على أن يحقق كل مايريده ·· وهو لهذا سيلتقي بها غدا وبعد غد وكل ليلة ·· وتجيبه في غموض مثير انه ليس في حياتها شيء اسمه الغد ·· لانها لاتحب أن تفكر في شيء لا تملكه ·· وان صلتهما قد انتهت عند هذا الحد ·· فيقول لها مبتسما (سنرى !)

ثم يسالها قبل أن ينصرف أن تأمر سائقها بتوصيله بسيارتها حتى المدينة ولكنها تعتذر بأن السيارة مع السائق الذي يقيم في مكان يبعد كثيرا عن الكوخ ·· ويعود فيسالها حائرا عن الوسيلة التي سيعود بها الى المدينة فتخبره بأن عليه أن يسلك طريق الجبل الذي يوصل الى المدينة يبدأ بعد مسيرة دقائق من الكوخ ·· حيث سيجد احدى السيارات التي تحمله الى المدينة ··

ويودعها عادل بقبلة حارة ثم يغادر الردهة وهي ترقبه بعطف وعلى شفتيها ابتسامة غامضة ··

ولا يكاد يغادر الكوخ ويخرج من باب الحديقة ويسير قليلا بمحاذاة سورها الواطيء ·· حتى يستغرقه جمال الليل تحت ضوء القمر الغارب ··

وفجأة يسترعي انتباهه وقع اقدام مقبلة من خلفه ·· فيتلفت وراءه واذا به يرى رجلا ضخم الجثة مقبلا وفي يده عصا غليظة وملامحه تنطق بالشر والقسوة فاستدار وفي نيته أن يطلق ساقيه للريح ولكنه فوجيء بشخص آخر يقبل نحوه من الطريق المضاد ويسد عليه سبيل الهرب ·· وأحس بالخوف وقد أدرك من هيئة الرجلين انه معرض للخطر ·· فلم يجد امامه الا سور الحديقة فقفز فوقه واصبح داخلها واسرع الى باب الكوخ وأخذ يطرقه في عنف وينادي (صفاء) وقد أصابه الهلع ·

ومضى وقت طويل قبل أن تفتح كوة صغيرة في باب الكوخ وتطل منها امراة عجوز ذات شعر مشعث ووجه مخيف وتسأله في حدة عما يريد فيخبرها بانه يريد صفاء ·· فتبدو عليها الدهشة وهي تجيبه بانه لا يوجد في كوخها أحد بهذا الاسم ·· وعندما يؤكد لها انه كان معها في داخل الكوخ منذ لحظات تجيبه في ضيق بانه مخطيء ثم تغلق في وجهه الباب في عنف ··

ويقف عادل لحظات حائرا خائفا لايدري ماذا يفعل ·· بينما القمر قد اختفى خلف سحابة عابرة فاشتاع الرهبة في نفسه ·

ويدور عادل بنظراته من فوق سور الحديقة بحثا عن مهاجميه ولكنه لايجد لهما أثرا فيتشجع ويقفز من على سور الحديقة ولا يكاد يفعل حتى يفاجأ بالرجلين يبرزان امامه كانما انشقت الارض عنهما فيضرب احدهما بقبضته

بكل ما يملك من قوة ورغبة في الحياة ثم يطلق لساقيه العنان والرجل الآخر يطارده حاملا عصاه الغليظة ·· ويظل عادل يجري ويجري حتى يصل الى طريق الجبل وقد بدأ يلهث وتضعف سرعته ·

وفجأة يغمر المكان ضوء كشاف سيارة آتية من المنحنى وفي نفس اللحظة يحس عادل بضربة هائلة تهوي على رأسه فيسقط فاقدا الوعي ·

***

يفيق عادل ليجد نفسه في غرفة بأحد المستشفيات وبجواره صديقه الناشر (مازن) واحد ضباط الشرطة ·· ويخبره مازن بأنه انتظر عودته الى الأوتيل الذي ينزل فيه ولما تأخر الوقت استراب في الامر ، فاصطحب معه صديقه ضابط الشرطة الذي كان في اجازة في ذلك اليوم وذهب الى المكان الذي واعد فيه الفتاة على اللقاء فعرف بأنه استقل معها السيارة السوداء الكبيرة وقد استطاع ضابط الشرطة بتحرياته السريعة أن يعرف أن السيارة قد اخذت طريق الجبل وان لم يعرف وجهتها بالتحديد ، فصحبه مازن بسيارته وانطلقا يقطعان طريق الجبل ذهابا وايابا حتى عثرا عليه في اللحظة المناسبة ·· أما المعتدي فقد تمكن من الهرب ·

ويقرر عادل في محضر الشرطة انه تعرض لمحاولة قتل بيد أشباح مجهولين آكد بأنهم من اتباع السيدة الغامضة التي أعطى أوصافها والاسم ـ صفاء ـ الذي يعرفه عنها ·

ولكن تحريات البوليس لم تصل الى كشف شخصية هذه المرأة أو مكانها ·

ومضت ثلاثة أيام قبل أن يسترد عادل قواه ويصحب بعض رجال الشرطة الى الكوخ الذي التقى فيه بالفتاة ·· ولدهشته فوجيء بأن الكوخ لونه أصفر وليس حوله سور من الخشب كما رآه وكما ذكر أوصافه في التحقيق ·· وظن ضابط الشرطة انه واهم فلا يوجد في هذه المنطقة كوخ غير هذا الكوخ ··

ويسقط في يده امام نظرات الشك من ضابط الشرطة وزملائه فيصف لهم عادل اثاث الكوخ وصفا دقيقا ويطلب أن يدخله ليتحققوا من صدق روايته · ويجيبونه الى طلبه ·· ولا يكاد يدخل الكوخ حتى يفاجأ بأثاث عتيق مترب كأنه مهمل منذ سنوات ·· ولا وجه للشبه بينه وبين الأثاث الذي وصفه ·

ويعود عادل مع رجال الشرطة الى المدينة وهو في حالة ذهول وغضب ·· ولا يكاد ينفرد بصديقه مازن في الاوتيل حتى يعلنه بتصميمه على كشف سر هذه المرأة ولو ضحى بحياته ·

ويحاول مازن أن يقنعه بالتخلي عن هذا الامر والتمتع بأيامه في لبنان ·· ولكنه يصر على رغبته فهو مصمم على الانتقام من هذه المرأة السفاحة ·· ويلاحظ مازن أن عادل يحبها رغم حقده عليها وعندما يكاشفه بهذه الحقيقة يعترف بها على الفور ·

***

يبدأ عادل بمفرده جولة في الاماكن التي التقى فيها بصفاء وفي الاماكن التي يحتمل أن تتردد عليها ·· ولكنه لا يجد أحدا يعرف عنها شيئا ·· فيذهب الى طريق الجبل عله يجد كوخها ويجدها

فيه ·· وأثناء بحثه يمر ببيت عتيق متهدم حوله حديقة مهملة · وفجأة يشاهد صفاء فى شرفة المنزل فيندفع نحوها فى حقد ويمسكها من رقبتها وهو يصرخ فيها لماذا أرادت قتله ؟ فتصرخ الفتاة مستغيثة ليسرع لانقاذها رجل عجوز كان يسقى بعض اشجار الحديقة من رشاشة فى يده ·· بينما تنظر اليه مذهولة خائفة دون أن تنطق بحرف ·

ويقول عادل للرجل العجوز أن هذه الفتاة قد حاولت قتله ، وأنه لن يتركها حتى يسلمها للشرطة ولكن الرجل العجوز يفاجئه بأن هذه الفتاة لم تغادر هذا المكان ثلاثة أعوام ·· وانها عمياء وصماء ·· ورغم أن عادل تأكد من صدق الرجل الا انه شك فى الامر وعول على معرفة الحقيقة بنفسه فقد كان على ثقة من انها هى صفاء بشعرها وعينيها وكل مافيها ·· وانها تمثل أمامه دور العمياء الصماء حتى تفلت من عقابه ·

وعادل عادل فى اليوم التالى يحمل هدية للفتاة كاعتذار عما بدر منه ·· فاطمأنت الفتاة اليه وكذلك الرجل العجوز لاسيما بعد أن عرفا أنه أديب مصرى غريب عن لبنان ·

ومضت ايام وعادل يتردد على الفتاة ويستميلها اليه حتى تعلقت به ·· وبدأ يستعد لخطوته التالية التى قال عنها لمازن انه سيكتشف بها حقيقة الفتاة التى ليست فى اعتقاده سوى غريمته (صفاء) وكانت طريقته الى ذلك أن ينفرد بها بعيدا عن الرجل العجوز الذى لايفارقها ويخلع عنها ثيابها ولو بالقوة ليرى الشامة السوداء الكبيرة الموجودة بأعلا كتفها والتى رآها فى نفس الموضع من جسم صفاء ·· ويستنكر « مازن » هذه الطريقة ويحذره من نتيجتها · ولكن عادل يصر على رغبته مهما كلفته من ثمن ·· وخلال الحديث يكتشف مازن بأن عادل يحب الفتاة الصماء العمياء كأنها هى صفاء تماما ·· وهذا ما يؤكد له أنها صفاء !!

يستطيع عادل أن ينفرد بالفتاة العمياء التى مال اليه قلبها ، وفى جلسة شاعرية تهتاج عواطفه فيعتدى عليها رغم مقاومتها ويغتصبها ·· مدفوعا برغبته فى رؤية الشامة، ولارضاء شوقه الجنسى فى وقت معا ·

ولكنه يفاجأ بخلو جسمها من أى أثر للشامة التى رآها فى جسم صفاء ·· وبينما هو مذهول من اكتشافه يأتى الرجل العجوز مع بعض الاهالى على استغاثة الفتاة ويقبضون عليه ·

ويسجن عادل فى قسم الشرطة تحت التحقيق بعد أن قررت الفتاة انه اغتصبها ··

وقد حاول المحامون الذين وكلهم مازن لانقاذه ان يقنعوا عادل بانكار التهمة المنسوبة اليه لاسيما والفتاة عمياء ·· ولكن عادل اصر على الاعتراف بجرمه مدفوعا بعطفه على الفتاة وحبه لها وشعوره بالذنب والندم ·

ولكنه يفاجأ فى صباح اليوم التالى بمأمور القسم يستدعيه ويخبره بأن الفتاة العمياء حضرت مع أحد الاشخاص وعدلت أقوالها وقررت انها لاتعرف الشخص الذى اعتدى عليها ·· وبذلك أطلق سراحه ·

وكانت الصحف قد بدأت تتهامس بما حدث وتشير الى الاديب الكبير دون أن تذكر اسمه فبذل مازن جهودا كبيرة حتى استطاع أن يعتبر الموضوع حرصا على سمعة كاتبه الذى يكسب من وراء مؤلفاته الكثير ·

وحاول مازن أن يحمل صديقه على الرحيل عن لبنان والعودة الى مصر بعد ان نجا باعجوبة من السجن .. ولكنه فوجيء بعادل وقد زاد اصراره على كشف أمر صفاء لاسيما بعد عدول الفتاة العمياء عن اتهامه الذى لاشك يخفي وراءه سرا يحس انه سيوصله الى صفاء .

ويذهب عادل الى الفتاة العمياء فى منزلها ليحاول معرفة هذا السر ولكنه يفاجأ بأنها تركت المنزل الى حيث لايعلم أحد .. فيذهب الى قسم الشرطة ويحصل على اسم الرجل الذى أتى معها عندما عدلت أقوالها وتراجعت عن اتهامه .

ويفرح عادل وقد اعتقد أن عثوره على هذا الرجل يعتبر وصولا الى طرف الخيط الذى سيوصله الى صفاء .. ولكنه يفاجأ بأن المكان الذى ذكره الرجل على انه عنوانه ليس سوى خرابة مهجورة .

ويزداد عادل رغبة وتصميما فى كشف هذا الغموض وقد احس بأنه يعيش فى قصة مثيرة سيكتبها يوما لتخلد اسمه واسم ناشره كما ذكر لصديقه مازن .

ويعود عادل مرة أخرى الى طريق الجبل قاصدا الكوخ معتقدا انه لابد سيلتقى بصفاء بطريقة ما فهى كالمجرم لابد وان تحوم حول مكان الجريمة .

ويفاجأ عادل بأن الكوخ الذى رآه مع رجال الشرطة ذا لون أصفر .. يراه الآن ذا لون أحمر وحوله نفس السور الخشبى المتآكل .. وهو نفس الكوخ الذى التقى فيه بصفاء .. فيندفع الى باب الكوخ وقبل أن يرفع يده ليطرقه فى عنف .. ينفتح الباب ليجد أمامه صفاء فى نفس الغلالة الشفافة التى كانت ترتديها عندما قضت معه ليلتهما الوحيدة .

وقبل أن يفيق عادل من ذهوله دعته صفاء ببساطة للدخول .. فدخل واغلقت الباب خلفه ثم تقدمته للردهة ففوجيء بنفس الاثاث الشرقى الفاخر وباللوحة الزيتية لقلعة محمد على بالقاهرة فى مكانها على الحائط .

وجلست صفاء أمامه فى وضع مثير واخذت تنظر اليه فى حنان وشوق فنسى حقده عليها ورغبته فى الانتقام منها . وكاشفها فى انفعال بحبه . وانه لايريد أن يصدق صوت عقله من انها حاولت قتله بلا سبب .. ولكنها تجيبه فى بساطة أنها فعلا حاولت قتله .. فيسالها مذهولا عن السبب وهو لم يسىء اليها فتذكره بما اشترطته عليه فى لقائهما من ألا يوجه اليها أية اسئلة .

ولكنه يعود فيسالها عن الفتاة الصماء العمياء التى اغتصبها ، ولكنها ترفض أن تجيبه .. فهو ليس زوجها حتى تفسر له مايريد .. فيعرض عليها عادل الزواج منه ويؤكد لها انه قد نسى الماضى بكل ما فيه .

وتساله فى هدوء هل قراره هذا نهائى .. فيجيبها بالايجاب .. فتعود وتساله ألم يندم عليه ؟ فيؤكد لها فى حرارة أن زواجه منها هو كل أمنيته فى الحياة .

فتصفق بيديها فيدخل أحد رجال الدين ويحييهما فتدعوه للجلوس وتطلب منه ان يعقد عليهما .. ويسالها عادل فى ذهول هل كانت تنتظره وهل كانت تعرف انه سيتعرض عليه الزواج .. لتستهله الى مابعد اتمام العقد حيث تفسر له كل شىء .

وينتهي رجل الدين من عمله وينصرف ٠

ويحاول عادل الاستفسار عما غمض عليه من امرها ولكنها تستمهله الى مابعد أن يتمتعا بلقائهما ٠٠ وتصحبه الى حجرة النوم التي قضى معها فيها ليلته الوحيدة ٠

ويقضيان بعض الوقت في متعةجارفة ٠٠ ثم يعود فيسألها عما غمض عليه ولكنها تستمهله مرة أخرى الى حين خروجهما في نزهة بالقارب في عرض البحر ٠٠ عند غروب ذلك اليوم ٠

***

وعند الغروب تستقل صفاء وعادل قاربا بخاريا صغيرا تملكه كان واقفا بمرفأ امام الكوخ ٠٠ ويلاحظ عادل ان هذا الجزء من الشاطيء وضعت عليه لافتة خشبية مكتوب (خطر ٠٠ يوجد سمك قرش في هذه المنطقة) فيدرك ان هذا تحذير للاهالي حتى لايستحمون في هذه المنطقة ٠

وينطلق بهما القارب البخاري في عرض البحر حتى يغيب الشاطيء عن ناظره وعندئذ يتوقف القارب ، ويحاول عادل ان يعيد تشغيله عندما تقول له صفاء باسمة انه لافائدة فالوقود قد نفد ٠٠ فيبدي عادل دهشته ٠٠ فتخبره في غموض ان كل شيء له نهاية ، حتى الانسان ٠

فيسألها عادل حائرا هل كانت تعلم أن البنزين لن يوصلهما الا الى هذا المكان فتهز رأسها بالموافقة ٠٠ فيبدو عليه الذعر ولكنها تدعوه الى الجلوس ليستمع الى أجوبة الاسئلة التي يريد أن يوجهها لها ٠٠

وتخبره وهو مذهول بانها اميرة من عائلة فاروق هربت مع والديها واختها الصغيرة الى لبنان بعد قيام ثورة ١٩٥٢ وان والدتها قد قاست على يد والدها كل أصناف العذاب قبل أن تطلق منه وتتزوج من رجل آخر أحسنت به الظن فاذا به أكثر قسوة ونذالة ٠٠ ولكن القدر رحمها منه فمات في حادثة ٠٠ وتزوجت من الرجل الثالث الذي استطاع بحبه الزائف وتمثيله المتقن أن يقنعها بأنه يختلف عن غيره من الرجال وان يحملها على الزواج منه ٠٠ وهي فرحة سعيدة تحلم بالرجل الذي سيعوضها ماقاسته من عذاب ٠

ولكنه لم يلبث بعد ايام من الزواج ان ظهر على حقيقته انانيا قاسيا نذلا ٠٠ يعيش أيامه بين الخمر والنساء الساقطات يستنزف أموالها ليعيش حياته الملوثة ٠٠ يعتدي عليها بالضرب المبرح بلا سبب ٠٠ وأدركت الأم بعد فوات الأوان أن الرجال كلهم سواء ٠٠ ذئاب شرهة تفترس النساء اللواتي يقعن بين مخالبهم ٠ حتى حدث ذات ليلة أن حاول الزوج الشرس ان يعتدي على صفاء فدافعت الام عنها فهجم عليها وقتلها امام أعين طفلتيها حتى أصيبت أختها الصغيرة من عنف الصدمة بالعمى والصمم فقد أرادعقلها الباطن أن يحميها من رؤية المنظر الرهيب ومن سماع صرخات أمها ٠

وهكذا خرجت هي ، أي صفاء الى

الحياة وهي تكره الرجال وتحقد عليهم وتنتقم من قاتل أمها في اشخاص كل الرجال الذين توقعهم سوء حظهم بين يديها .

ويسألها عادل ان كانت الفتاة الصماء العمياء التي اختصبها هي اختها؟ فتجيبه بالايجاب .. وتخبره بأنها دفعت رجليها لقتله بعد خروجه من الكوخ حتى لاتحين له الفرصة مع الايام للسيطرة عليها وتعذيبها .. كما تعذبت أمها ، وعندما نجـا من الموت ادركت انه لابد عائد ليبحث عنها فاعادت طلاء الكوخ باللون الاصفر وغيرت أثاثه واخفت معالمه حتى لا يستدل عليه .. وأخبرته بأنها انقذته من السجن بأن دفعت اختها بالتراجع عن اتهامه .. فقد يحمله ذلك على الاكتفاء بما حدث والعودة الى وطنه .. وبذلك تتخلص منه .

ولكنها فوجئت به يتجول في طريق الجبل فأدركت أنه يبحث عن الكوخ الذي كانت قد اعادته الى حالته الاولى .. وايقنت انه يحبها وألا مفر من لقائه .. فاستدعت رجل الدين في انتظار وصول عادل .

ويذهل عادل لما سمع .. ويسألها ان كانت بعد زواجها قد تخلصت من عقدتها من الرجال .. وأكد لها أنها مخطئة في اعتقادها .. فكل مافي الحياة فيه السيء وفيه الحسن .

ولكنها تسخر منه .. وتخبره بأنها لن تخدع فيه وتترك له الفرصة ليتلذذ بالسيطرة عليها وتعذيبها .

يبدو على عادل الخوف .. ويسألها عما تنوى فعله .. فتخبره بأنها ستحقق له أمنيته وسيبقى معها الى الابد .. وتلتمع عيناها ببريق مخيف يصيب عادل بالذعر وقد أدرك انها مجنونة .

وفجأة تمد يدها الى بطن القارب .. وتنزع قطعة مربعة من الخشب وتلقيها في البحر وهي تقهقه في جنون بينما الماء قد بدأ يتدفق الى القارب .. يندفع عادل نحوها في غضب هائل ولكنها تخرج مسدسا من حقيبتها وتشهره في وجهه .. وهي تقول انه سيموت معها فهي لاترضى بأن تعيش صورتها في خيال احد .

يقذفها عادل بوسادة كانت بجواره فيسقط المسدس من يدها في البحر .. ويندفع نحوها محاولا اقناعها بالنجاة بنفسها عن طريق السباحة ولكنها تقاومه في عنف ووحشية فيتركها ويخلع ملابسه ويقفز الى الماء سابحا في اتجاه الشاطىء .. ولا يلبث أن تهاجمه سمكة قرش فيصرخ مستغيثا بينما صفاء تضحك في القارب في جنون والماء يعلو حتى يصل الى فمها .. بينما قرص الشمس قد بدأ يغيب في الافق البعيد يصبغ السماء بلون الدم .

***

عادل جالس في بيته وقد تقدمت به السن وأمامه طفلان في نحو العاشرة ويبدو انه كان يروى لهما هذه القصة .

تدخل الفتاة العمياء الصماء تقودها خادمة فيستقبلها عادل بحب وحنان ويجلسها بجواره .